

تمثيل الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية: الأبعاد والآليات - رواية "رشيد بوجدر"

"Les figuiers de barbarie" أنموذجاً -

Representation of the editorial revolution in the Algerian novel: dimensions and mechanisms - "Rachid Boujdra"

"Les figuiers de barbarie" a model -

أ. كاهنة عصماني / *Asmani Kahina* *

(1) طالبة دكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

asmani.kahina@yahoo.com

تاريخ النشر: 2025/01/30

تاريخ القبول: 2023/12/09

تاريخ الإرسال: 2021/01/23

ملخص: إذا كانت قُدرة الفنان على الخلق هي التي تعطي عمله الفني درجة تميّزه وتفوّقه، فإن الخيال وحده لا يستطيع خلق شخصيات تُحيّد الأحداث التاريخية التي تزلزل الضمير الإنساني. ومن هنا حاول أدباء الجزائر إعادة إنتاج الثورة تحيّلياً أي نقلها من الواقع إلى المتخيل، فكانت بذلك (الثورة) نقطة تحوّل أساسية في مسار التجربة الروائية الجزائرية، بحيث أصبح الحديث عن الثورة والنهل منها اعتباراً ضرورياً في الكتابة الروائية، وأصبح دور أدباء الجزائر لا يقل أهمية ولا التزاماً، عن القتال والكفاح المسلح ضد الاستعمار، بحيث أصبحت جميع أعمالهم تدور حول موضوع الثورة الجزائرية، وبخاصة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية؛ والتي عبّر عنها عن القضية الوطنية بلغة المستعمر. واستمر ذلك بعد الاستقلال.

والروائي وهو يقلب أحداث التاريخ، يتجاوز الإطار النفعي الذي يهدف إليه الخطاب التاريخي، فالكتابة التخييلية تنبش في أبعاد المكان والزمان، فترصد ما لم يقله التاريخ الرسمي، وتنظر في المغيب والمسكوت عنه. وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن آليات تمثيل الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية للأحداث التاريخية، وعن الأبعاد والخلفيات الكامنة وراء توظيف الأديب للثورة الجزائرية في عمله الروائي، وهل حققت هذه الكتابات الروائية أهدافها ووسائلها المرجوة؟

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية؛ الاستعمار الفرنسي؛ اللغة الفرنسية؛ الرسالة الأدبية.

Abstract : If the artist's ability to create is what gives his artistic work the degree of distinction and excellence, then imagination alone cannot create

*المؤلف المرسل

characters that embody historical events that shake the human conscience. Hence, Algerian writers tried to reproduce the revolution imaginatively, that is, transfer it from reality to the imagined, thus (the revolution) was a fundamental turning point in the path of the Algerian novelistic experience, so that talking about the revolution and drawing from it became a necessary consideration in fictional writing, and the role of Algerian writers became no less important And no commitment to fighting and armed struggle against colonialism, so that all their works revolve around the theme of the Algerian revolution or the war of liberation, especially the Algerian novel written in the French language; And whose writers expressed the national cause in the language of the colonizer. And that continued after independence.

As the novelist reverses the events of history, he goes beyond the utilitarian framework that the historical discourse aims at. Fictional writing digs into the dimensions of space and time, so it monitors what the official history has not said, and looks at what is absent and what is silent. This leads us to question the mechanisms and ways to represent the novel written in the French language; For historical events? And about the dimensions and backgrounds behind the writer's employment of the Algerian revolution in his fictional work? Did these fictional writings achieve their desired goals and messages?

Key- words: Algerian Revolution; French Colonialism; French Language; Literary Letter.

1. مقدمة:

إنّ الرواية -وعلى العكس من الأجناس الأدبية النثرية الأخرى- تمنح الكاتب حيّزاً أوسع وحرية أكبر للتعبير عن موضوعاته المختلفة.

ومن بين الموضوعات التي شغلت بال الأدباء الجزائريين؛ موضوع الثورة الجزائرية. وقد ظلت هذه الأخيرة حاضرة بقوة في الرواية الجزائرية، بحيث لا يزال الحديث عنها يستهوي الكثير من الكتّاب الجزائريين؛ الذين ظلوا يكتبون عن الثورة بالرغم من استقلال الجزائر. وذلك من خلال تمثيلها وإعادة تركيب أحداثها -كل على طريقته، وبحسب أسلوبه- وسرد بطولاتها وتمجيد أبطالها. ومن بين هؤلاء الروائيين الذين نهلوا من معين الثورة في كتاباتهم نذكر الروائي الجزائري "رشيد بوجدره" في روايته "Les

figuiers de barbarie. فما هي الآليات التي اعتمدها "رشيد بوجدرة" في تمثيله للثورة الجزائرية؟ وما هي الأبعاد والخلفيات الكامنة وراء توظيف الأديب للثورة الجزائرية في عمله الروائي، وهل حققت هذه الكتابات الروائية أهدافها ورسائلها المرجوة؟ قبل التطرق لإشكالية هذا المقال سنتحدث عن البدايات الأولى للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية.

يرى الباحث "جان ديجو" بأن أول قصة قصيرة جزائرية كُتبت باللغة الفرنسية، هي قصة "انتقام الشيخ"، ل "محمد بن رحال": والتي تعود إلى سنة 1891م، وقد نشرت في "المجلة الجزائرية التونسية"، وهي مجلة تعنى بالأدب والفن.¹

كما عثر من خلال أبحاثه على نصوص قليلة، من بينها رواية مسلسلة بعنوان "مسلمون ومسيحيون"، والتي نشرت سنة 1912م في جريدة "الحق" (وهران) بتوقيع "أحمد بوري". ويرى بأن الانطلاقة الأولى للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تعود إلى سنة 1920م، بحيث ألف "القايد بن الشريف" روايته المعنونة ب "أحمد بن مصطفى القومي".²

أما "أحمد منور" فيرى بأنه «ظهرت فجأة، وبعد أكثر من تسعين عاما من الاحتلال، أعمال أدبية باللغة الفرنسية لجزائريين، (...) وعلى هذا النحو ظهرت في عشرينيات 1920-1930 خمسة أعمال أدبية. (...)، السيرة الذاتية للقايد بن الشريف، ونضيف إليهما رواية "زهراء امرأة المنجمي" «Zohra, la femme du mineur» "لعبد القادر حاج حمو"، التي صدرت سنة 1925. ورواية "مأمون بدايات مثل أعلى" «Mamoun, l'ébauche d'un idéal» لشكري خوجة التي صدرت سنة 1928، ورواية "العلاج أسير ببروسيا" «El-Euldj, captif des barbaresques» للكاتب نفسه، التي صدرت سنة 1929».³ نلاحظ هنا قلة الأعمال الروائية المكتوبة باللغة الفرنسية، إذ تعد على رؤوس الأصابع. ويضيف "أحمد منور" في هذا الصدد بأن معظم الروايات التي ظهرت ما بين 1929 و1948، لا يتعدى عددها سبع روايات، من بينها رواية "مريم بين النخيل" (1934) "لمحمد ولد الشيخ"، ورواية "ابن الفقير" "لمولود فرعون" (1939)، و "بولنوار، فتى جزائري" (1941) "لرابح زناتي"، و "ليلي فتاة جزائرية" (1948) "لجميلة دباش". كما عرفت

سنة 1948 أيضا حسب صدر روائي "إدريس" "علي الحمّامي" و"ببّيك" "مالك بن نبي".⁴ ولم يتوقف النتاج الروائي عند هذا الحد، وإنما ظهرت روايات أخرى كرواية "الدار الكبيرة" "لمحمد ديب" سنة 1952، والتي كانت منعطفًا حاسمًا على حد تعبير "أحمد منور"، في تطور الأدب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون. والشيء نفسه ينطبق على روايات "ديب" التي أتت فيما بعد، وهي رواية "الحريق" (1954)، ورواية "مهنة الحياكة" (1957)، وهما امتداد لـ "الدار الكبيرة". ويواصل "أحمد منور" قائلًا بأنه في هذه الفترة ظهرت أعمال روائية أخرى تسير في نفس الاتجاه مع أعمال "ديب" الأولى، وهي روايتي "نوم العادل" (1955) "مولود معمري"، و"نجمة" "لكاتب ياسين".⁵

كما ظهرت فيما بعد أعمال روائية صورت وقائع الثورة المسلحة، كرواية "الانطباع الأخير" (1958) "مالك حداد"، ورواية "صيف إفريقي" (1959)،... الخ.⁶ ومن بين الكتاب الذين أعادوا تمثيل الثورة في رواياتهم نذكر الكاتب: "رشيد بوجدره" في روايته "Les figuiers de barbarie". فما هي الآليات والطرق التي اتبعتها لتمثيل الثورة الجزائرية وأحداثها؟

2- آليات وطرق تمثيل الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية للثورة:

إنّ الرواية بالنسبة للأديب الجزائري هي الشكل الملائم للتعبير عن قضية شعبه ووطنه وآماله في تحقيق الحرية والاستقلال، فأصبحت موضوعاتها في مجملها تتمحور حول حياة الشعب الجزائري، بحيث نجد فيها الجنديّ المقاتل في المعركة، وموضوعات أخرى كال فقر والجوع، السجن والتعذيب، والموت،... الخ.

وإذا كان الإبداع يُفيد لغةً معنى إخراج الشيء إلى حيّز الوجود، فإن مجرّد نقل الثورة بعد الاستقلال من الواقع ومن الأفواه، إلى الورق هو ما يجعلها (الثورة) مُثخِّلًا...⁷ وقد مثّلها "رشيد بوجدره" بطريقته الخاصة.

كتب "بوجدره" روايته: "Les figuiers de barbarie" سنة 2010م، بحيث صدرت بعد الاستقلال، وقد سلّط الضوء من خلالها على بعض أحداث ثورة التحرير. ووجد نفسه

كأي كاتب جزائري «بين فكي كماشة: صورة الماضي القريب وصدمات الواقع المتحول، فكان يلتفت إلى الماضي ليستحضر حرب التحرير يسائلها طورا ويتلذذ بذكرها أطوارا، وهو في ذلك يحن إلى ماض مجيد يستأنس به وقد يوظفه لنقد الواقع، وقد يقحمه فيأتي امتدادا للخطاب السياسي الرسمي الذي جعل من التراث الوطني شعارا لتكريس الشرعية التاريخية والمحافظة على السلطة».⁸

إن الآلية البارزة التي اعتمد عليها "رشيد بوجدره" في حديثه عن بعض أحداث الثورة الجزائرية في روايته، **تقنية الفلاش باك** (وكانت هذه التقنية في الأصل مقصورة على السينما ومن ثم كانت دلالة التسمية فلاش باك إلا أن الكتاب وظفوها في الأدب المسرحي و الشعر و الأعمال الروائية و بخاصة الرواية البوليسية التي كثيراً ما تبدأ بنهاية الأحداث ثم تسترجع وقائع الجريمة شيئا فشيئا... (انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة)) بحيث يعود بالقارئ إلى ما قبل الاستقلال، ويتذكر أحداثا ويعزّي محطات تاريخية هامة في مسار الثورة الجزائرية والكفاح المسلّح -علما أن الزمن الواقعي هو رحلة جوية من الجزائر العاصمة إلى قسنطينة دامت ساعة واحدة، في حين أن الزمن الروائي يعود إلى أيام الثورة وأيام مراهقته هو وصديقه عمر- كما تحدّث عن أحداث 05 أكتوبر 1988م التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال.

كما اعتمد الكاتب (بوجدره) على تقنية الراوي البطل العارف لكل شيء والمشارك في الأحداث، من بداية الرواية إلى نهايتها.

ومن الآليات التي اتّبعها "بوجدره" كذلك في روايته، توظيف أحداث تاريخية حقيقية حدثت فعلا أثناء الثورة، ومن بينها حدث مقتل سكان ملوزة في ماي 1957م:

عنوان الرواية	المقطع السردى باللغة الأصلية	رقم الصفحة	المقطع السردى باللغة العربية
Les figuiers de barbarie	-(pourquoi la résistance avait-elle massacré les 300 habitants de Mellouza en mai 1957 ?... ⁹	40/39	- ... (لماذا المقاومة قتلت ال 300 من سكان ملوزة في ماي 1957؟...)

ذكر "بوجدره" في روايته أيضا أحداثا تاريخية خطيرة مسكوت عنها، ولم يرد ذكرها في الكتب التاريخية الرسمية المدوّنة، ولا تتم الكتابة الروائية عند الروائيين دون خطورة «وهذه الخطورة تأتي من جهة التاريخ، الذي تتصرف فيه كمادة، ومن جهة الرواية ذاتها، والتي تتخيل المادة التاريخية، وما تصنعه الرواية هنا هو تعصير الماضي».¹⁰

ومن بين هذه الأحداث -المسكوت عنها- التي وردت في رواية "بوجدره" (Les figuiers de barbarie) نذكر:

عنوان الرواية	المقطع السردى باللغة الأصلية	رقم الصفحة	المقطع السردى باللغة العربية
- Les figuiers de barbarie	Abbane Ramdane et Ben Mhidi avaient été les premiers à prendre conscience de ce désastre. Ils étaient les seuls intellectuels du commandement opérationnel. Paradoxalement, ils furent assassinés la même année (1957) l'un par les Algériens, et l'autre par les Français. ¹¹	121.	- عبان رمضان وبن مهدي كانا من الأوئل الذين شعروا بهذه الفاجعة. كانا المفكرين الوحيدين للقيادة العملية. على العكس من ذلك، قتلوا في نفس العام (1957) أحدهما من قبل الجزائريين، والآخر من قبل الفرنسيين.

وقد قُتل الشهيد "بن مهدي" من قبل الفرنسيين سرًا، والدليل على ذلك المقطع الآتي:

عنوان الرواية	المقطع السردى باللغة الأصلية	رقم الصفحة	المقطع السردى باللغة العربية
- Les figuiers de barbarie	-Ben Mhidi avait été pendu en cachette par l'armée française le 11 février 1957 dans une ferme à Douera à trente	- ص 123.	- أعدم بن مهدي في السر من قبل الجيش الفرنسي في ال 11 فيفري 1957 داخل مزرعة

kilomètres d'Alger. ¹²	في الدويرة، على بعد ثلاثين كلم من الجزائر العاصمة.
-----------------------------------	--

لم يكتف "بوجدرة" بذكر هذه الحقيقة الخطيرة الخاصة باغتيال "عَبان رمضان" و"بن مهدي" في السنة نفسها. وإنما ذكر في مقطع آخر من الرواية اسم قاتل الشهيد "عبان رمضان":

عنوان الرواية	المقطع السردى باللغة الأصلية	رقم الصفحة	المقطع السردى باللغة العربية
- Les figuiers de barbarie	Nous savions, déjà, qu' Abbane avait été assassiné par Boussouf, sur ordre de Krim Belkacem et en sa présence, d'une façon sordide. ¹³	ص 33.	نعلم من قبل، بأن عبان رمضان، قتل من قبل بوصوف، بأمر من كريم بلقاسم وفي حضوره، بطريقة بشعة.

وأوصل إلينا "بوجدرة" هذه الحقيقة عن طريق شخصه، مما يدفع القارئ لهذه الرواية إلى التساؤل: هل فعلاً قُتل الشهيد "عبان رمضان" من قِبل المدعو "بوصوف"، وبأمر من "كريم بلقاسم"؟ أم أن هذا الكلام من نسج خيال الكاتب. وهل شخصيات الرواية حقيقية فعلاً أم لا؟

وأحياناً «تتورط الشخصيات التاريخية في حوار أو مواقف مع شخصيات متخيَّلة، إذ لا تكلفنا النصوص التاريخية، دائماً الوثائق التي نحتاجها، فنعود مرّة أخرى إلى تأكيد مبدأ المزوجة بين ما كان وأثبت، وما كان ولم يثبت (المسكوت عنه)، إذ أنّ خطأ المزوجة قد يفسد بناء الشخصية التاريخية، ومن ثمّ المصدقية في العمل الروائي».¹⁴

كما أنه أثناء تمثيل وإعادة كتابة أحداث الثورة، يجد الكاتب نفسه أمام ثغرات وفراغات، لا بد من ملئها، فيلجأ في ذلك إلى الخيال. والروائي «بقدرته على سد الثغور وتسييل الضوء على المفصل الحرجة يستطيع أن يوسع من دائرة تحركاته على مساحة الرواية المحددة سلفاً».¹⁵

عرى "بوجدرة" بعض جرائم الاستعمار عن طريق الراوي، وهو الكاتب والبطل في الوقت نفسه، والمثال على ذلك من الرواية:

عنوان الرواية	المقطع السردى باللغة الأصلية	رقم الصفحة	المقطع السردى باللغة العربية
- Les figuiers de barbar ie	-...Fernand Yveton avait été arrêté, (...) Un semblant de procès, hâtif, bâclé, où tout avait été décidé à la va-vite, avec une instruction qui avait duré dix jours : arrêté le 14 novembre 1956, condamné à mort le 24 novembre 1956; parce que jugé en flagrant quoi ? Comment dit-on ? Flagrant délit ! Dix jours pour l'instruction (interrogatoires et tortures compris) et un jour pour le procès ! ¹⁶	- ص 130.	- ... تم القبض على "فيرناند إيفتون"، (...) مظهر من مظاهر محاكمة متسعة فاشلة، حيث تم البت في كل شيء على عجل، مع تعليمات استمرت عشرة أيام: توقف في الـ 14 نوفمبر 1956، حكم بالإعدام في الـ 24 نوفمبر 1956، لأنه حوكم ظلما! كيف نقول! حكم جائر! عشرة أيام من أجل التحقيق (الاستجوابات والتعذيب المرتكب) ويوم لأجل المحاكمة!

وفحوى الكلام في الجدول أعلاه هو: الحكم على المدعو: "فيرناند إيفتون" بالإعدام من قبل
السلطات الفرنسية، بالرغم من كونه أوروبيا شيوعيا.
ومن الأمثلة حول جرائم فرنسا أيضا:

عنوان الرواية	المقطع السردى باللغة الأصلية	رقم الصفحة	المقطع السردى باللغة العربية
- Les figuiers de barbarie	-...Mohamed Ferradj, était aveugle et handicapé. Il avait été exécuté en mai 1956, à la prison Barberousse, à Alger. ¹⁷	- ص 133.	- ...مُجَّد فراج، كان أعمى ومعوقا. وقد أعدم في ماي 1956م، بسجن بربروس، في الجزائر العاصمة.

بالرغم من أن "محمد فراج" كان أعمى ومعوقاً، نفاه الفرنسيون بدون رحمة ولا شفقة إلى سجن بربروس.

نستخلص ممّا سبق أنه إذا كان الكثير من الروائيين الجزائريين قد ربطوا في نصوصهم، بين ما حدث أثناء الثورة، وما كان يحدث بعد نيل الاستقلال. كل من وجهة نظره الأيديولوجية، ووفق علاقته بالثورة وموقفه منها ومن رجالاتها، فإن الثابت هو أن الثورة ظلت «هي المرجعية الأيديولوجية والفنية التي ينطلق منها أغلب الروائيين الجزائريين».¹⁸

إن "بوجدره" أعاد تمثيل الثورة وأحداثها حسب نظره وآلياته الخاصة، وكان وراء كل ذلك أبعاد وخلفيات أراد الكاتب إيصالها إلى المتلقي من خلال الكتابة باللغة الفرنسية (لغة العدو).

3- أبعاد وخلفيات إعادة تمثيل الثورة الجزائرية في الرواية المكتوبة بالفرنسية:

أدرك الأدباء الجزائريون منذ البداية أن لهم رسالة أدبية كبرى في تحرير وطنهم لا تقل أهمية عن السلاح المستخدم في الحرب.¹⁹

لتتحول اللغة الفرنسية في هذه الحالة إلى وسيلة اتخذها الكتاب الجزائريون للتعبير عن آلام شعبهم ومآسيه مع فضح السياسة الاستعمارية التي مارستها فرنسا في الجزائر، لذلك غلب عليها طابع الثورة والمقاومة، فشكّلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بذلك ظاهرة لغوية إبداعية فريدة من نوعها أثارت حولها جدلاً واسع النطاق في لغتها ومضمونها وفتياتها.

ويوضح "فرانس فانون" بأنه بينما كان الكاتب في البلاد المستعمرة يعمد في البداية إلى الإنتاج الفني الموجه إلى الطغاة وحدهم إما لكي يفتنهم أو لكي يندّد بهم عن طريق المقولات الخلقية أو الذاتية فإنه أصبح الآن يخاطب شعبه. ومنذ هذه اللحظة فقط نستطيع أن نتحدث عن أدب النضال الحقيقي (الأدب القومي) ... إذ أنه يدعو الشعب بأسره إلى النضال من أجل الوجود القومي.²⁰

ومن الرسائل التي أراد الروائي الجزائري إيصالها إلى المستعمر هي أن يُثبت له بأنه متمكن من لغته (الفرنسية)، يكتبها دون أخطاء نحوية أو لغوية، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، استطاع فضحه وإدانته بلغته وذلك في إطار بحثه الدائم عن الهوية الحقيقية للشخصية الجزائرية، ومع اندلاع الحرب

العالمية الثانية استطاع المثقف الجزائري الانفتاح على الحركات التحررية العالمية، فازداد وعيا بقيم الحرية والتحرر، وأدرك أن حقوقه كجزائري اغتُصبت بسبب الاحتلال الاستعماري.²¹

وعلى حدّ تعبير الكاتب مولود معمري "إيمان عنيف بشيء يشعر الإنسان برغبة شديدة في إيصاله للآخرين".²²

وكانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في فترة ما بين الحربين العالميتين؛ دعوة لنشر الوعي السياسي والتحرر، وأصبحت بعد الحرب العالمية الثانية وجها أساسيا من وجوه المقاومة الوطنية ضد فرنسا. خاصة بعد اندلاع ثورة التحرير، بحيث شكّلت هذه الأخيرة مادة دسمة يغترف الكاتب الجزائري من أحداثها ليصوّر بطولات أبنائها في قالب في أدبي راق. فكتب عن واقع الشعب والظروف القاسية التي يعاني منها بسبب الظلم والبؤس والسيطرة الاستعمارية.²³

وبهذا «أعطى الأدب الجزائري المعبر بالفرنسية للرأي العام الأدبي في العالم قيمة إنسانية قُوّلت باحترام شديد، تتمثل هذه القيمة الإنسانية في أن أدباء الجزائر لم يبحثوا عن مفهوم الحرية في المعاجم وإنما بحثوا عنها في منحدرات، جبال (الأوراس) وفي شوارع القصبة وفي مدينة الجزائر...».²⁴

وقد ركّز الأدب الجزائري «على رسالة الحرية ووضوحها الإنساني حين يعاني الإنسان أمه حيث يريد، ويصنع المهد لأولاده حيث يشاء ويتجول في مدينته حين يحلو له ذلك».²⁵ وذلك لا يكون إلا في حالة الاستقلال والحرية، وهذه الأخيرة رسالة نجدها عند كل كاتب جزائري.

وبالنسبة لـ "مُحمّد ديب" «في قلب كل كاتب حق، وكل فنان صادق تكمن رسالة وطنية لا تقوم له قائمة بدونها...» (..) إنّ كتابنا الجدد قد توصلوا إلى حقيقة أكبر وفنّ أكبر عندما جعلوا من المسألة الوطنية المضمون الإنساني والاجتماعي لآثارهم... ولكي نتقدّم بأدبنا إلى الأمام ونرفع مستواه... يجب أن نندمج في المعركة بشكل كليّ وحماسي، وبهذا وحده سوف تتكشف أمامنا أثنى الصفات الإنسانية، إن العمل على الظفر بمستقبل لبلادنا واجب وطني بالنسبة للكاتب، كما انه ضمان أكيد لجودة إنتاجه».²⁶

غير أنّ «قيام الأديب بهذا الدور يتطلب منه جرأة كبيرة، فقول الكلمة الحرة ليس متيسراً في البلدان العربية. وهو يحتاج إلى هذه الجرأة لا في قول الكلمة الحرة فحسب، بل وفي طرح المشاكل الأساسية بالأسلوب المناسب كذلك».²⁷

والطاقة الوحيدة التي يتمتع بها الأديب في هذه الحالة هي ثقته في القارئ وتحاوله مع الجماهير المحرومة في مجتمعه. وهما (هذه الثقة وهذا التجاوب) سلاحه الوحيد لنيل حريته اعتماداً على تجاوب الجماهير ودعمها في الوقت ذاته.²⁸

نقول في الأخير بأنّ الأديب الجزائري قام «بدور آخر لا يقل أهمية ولا التزاماً عن الدور السابق، وهو دور مزدوج تمثل في نشر القضية الجزائرية في البلدان الشقيقة والصديقة من جهة، وتجنيد الجزائريين للإسهام في المعركة القائمة. وتشجيعهم على مواصلة هذه المعركة حتى القضاء النهائي على القوى الاستعمارية الباغية من جهة ثانية».²⁹ إذن وإن اختلفت أساليب الكفاح، لكن النتيجة واحدة وهي نيل الجزائر للاستقلال، وذلك في الخامس من جويلية 1962.

خاتمة:

لقد خدم هذا الأدب القضية الجزائرية قبل الاستقلال وحقق أهم رسالة له؛ وهي إيصال الصوت الجزائري إلى الرأي العام العالمي نظراً لمكانة اللغة الفرنسية وانتشارها على نطاق واسع، ممهداً بذلك الطريق إلى أدب الثورة الذي ازداد تطوراً فيما بعد.

- استطاع هذا الأدب الروائي إعادة تمثيل منجزات الثورة الوطنية، مع الاختلاف في كيفية التمثيل من كاتب إلى كاتب آخر، ويرجع ذلك إلى التوجهات الفكرية والأسلوبية والجمالية لكل أديب.

- وُلدت - الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في ظروف خاصة. وقد استطاع الكاتب الجزائري من خلالها أن يعبر عن قضية وطنه بلغة العدو لينقلها للعالم. وحسب "مراد بوربون" أية لغة تكون ملكاً لمن يسيطر عليها ويطوّعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاتها القومية.

-إن الروائي أثناء إعادته كتابة الثورة، يتعامل مع التاريخ تعاملًا، يُعيد من خلاله تركيب جملة من الأحداث والتصورات والأفكار، فيُنسج بذلك عمله الروائي ومتخيّله السردى بأسلوب جمالي واقعي ومباشر، فاضحا بذلك المسكوت عنه، وهو ما فعله "بوجدر" في روايته.

-إذن لو عدنا «بأذهاننا إلى فترة ما قبل ثورة فاتح نوفمبر 1954، لوجدنا أن الأدب الجزائري قام بدوره كاملا في تجنيد الشعب الجزائري لهذه الثورة، ثورة الكرامة والتحرير والتقدم. قد تختلف مساهمة أدب ما قبل الثورة عن مساهمة أدب المرحلة الحالية. ولكن كلا منهما كان يحاول أن يعبر عن المرحلة التي عاش أو يعيش فيها. واختلاف الدورين ليس اختلافا في طبيعة الأدبين بقدر ما هو اختلاف في طبيعة المرحلة التي عبر عنها كل منهما».³⁰

وتُعدّ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية؛ من أسمى رموز النضال الوطني الجزائري ضدّ الاحتلال الفرنسي. ومن الروائيين الجزائريين من استمروا في الكتابة باللغة الفرنسية، في حين أن بعضاً من هؤلاء اتجهوا إلى ممارسة الكتابة باللغة العربية، ومن بينهم الكاتب "رشيد بوجدر".

الهوامش:

¹ - Jean Déjeux : Situation de la littérature maghrébine de la langue française, O.P.U, Alger, 1982, p

² - Ibid, p19.

³ - أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د-ط)، 2007م، ص78.

⁴ - المرجع نفسه، ص ص 98، 103، 104.

⁵ - المرجع نفسه، ص ص 106، 107.

⁶ - المرجع نفسه، ص ص 109، 110.

⁷ - ينظر: أمانة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف، ص 54.

⁸ - مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات دار الأديب، وهران، ط1، (د-ت)، ص26.

⁹ - رشيد بوجدر: Les figuiers de barbarie، دار البرزخ، الجزائر، (د-ط)، 2010م، ص ص 39، 40.

¹⁰ - سعيد علوش: الرواية والأيدولوجية، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط2، 1983م، ص25.

- 11 - رشيد بوجدره: *Les figuiers de barbarie*, ص 121.
 - 12 - المصدر نفسه، ص 123
 - 13 - المصدر نفسه، ص 33.
 - 14 - نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د-ط)، 2006م، ص 277.
 - 15 - المرجع نفسه، ص 128.
 - 16 - رشيد بوجدره: *Les figuiers de barbarie*, ص 130.
 - 17 - المصدر نفسه، ص 133.
 - 18 - علال سنقوقة: التخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، ط 1، 2000م، ص 48.
 - 19 - ينظر: عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 165
 - 20 - المرجع نفسه، ص 35
 - 21 - ينظر: العربي الزيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 161.
 - 22 - عائدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، ص 59.
 - 23 - ينظر: نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرّفص والتّحرير، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981 ص 458
 - 24 - عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 70.
 - 25 - المرجع نفسه، ص 71.
 - 26 - المرجع نفسه، ص 74.
 - 27 - محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د-ط)، 1983م، ص 95.
 - 28 - ينظر: المرجع نفسه، ص 97، 98
 - 29 - المرجع نفسه، ص 102.
 - 30 - المرجع نفسه، ص 99.
- قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د-ط)، 2007م.
2. أمانة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف.
3. رشيد بوجدة: Les figuiers de barbarie، دار البرزخ، الجزائر، (د-ط)، 2010م.
4. سعيد علوش: الرواية والأيدولوجية، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط2، 1983م.
5. عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م.
6. عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر.
7. العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.
8. علاء سنقوقة: المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، ط1، 2000م، ص48.
9. محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د-ط)، 1983م.
10. مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية (بحث في الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات دار الأديب، وهران، ط1، (د-ت)،
11. نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن، (د-ط)، 2006م.
12. نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرّفض والتّحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.
13. Jean Déjeux : Situation de la littérature maghrébine de la langue française, O.P.U, Alger, 1982.